Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

خصوصية الوعي اللّغوي في كتابات الخيال العلمي العربي (رواية "جلالته الأب الأعظم" للحبيب مونسي أنموذجا)

The Specificity of Linguistic Awareness in the Writings of Arab Science Fiction (The Novel "His Majesty the Great Father" by Habib Mounsi as a Model)

مسعودة مرغيت ، merghit messaouda

باحثة دكتوراه، جامعة محمد الصديق بن يحي-تاسوست-جيجل، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي ،مخبر البحث في الدراسات السوسيو-لغوية ، السوسيو-تعليمية ،السوسيو-نقدية.

Scientific rank, PhD researcher, University of Muhammad Al-Siddiq Bin Yahya - Tasoust - Jijel, Department of Arabic Language and Literature, Research laboratory in socio-linguistic, socio-educational, and socio-critical studies.

messaouda.merghit@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 25 – 10 – 2023 **تاريخ القبول : 06- 04 - 2024**

الملخص:

تبحث هذه الدّراسة الموسومة بـ" خصوصية الوعي اللّغوي في كتابات الخيال العلمي العربي"، في تجلّيات النّسق اللّغوي الذّي يحمل الخصوصية والوعي المحتمل في النّص السّردي العربي المعاصر، ومدى استجابة العمل الرّوائي لهذه الخصوصية النّوعية المعتمدة في بناء الجانب المعرفي اللّغوي للآخر تقف على درجة استيعاب المادّة المعرفية المقدّمة للقارئ والمحتواة في فكر الكاتب، وسنلج إلى عالم الرّواية المستقبلية لتبيان طبيعة هذا الوضع اللّغوي المعتمد في كتابة هذا النّوع الجديد من الأدب المواكب للعلم والتكنولوجيا بصبغة خيالية افتراضية.وستكون رواية "جلالته الأب الأعظم" للرّوائي "حبيب مونسي" كعينة تجريبية لتسليط الضوء على واقع الوعي اللّغوي عند كُتّاب الخيال العلمي العربي، ومدى نجاعة الخصوصية التّي تطبع المستوى اللّغوي في إبداعاتهم، من خلال ملامح الخيال العلمي المتجليّة فيها والتّي تجسّدها اللّغة المستخدمة على مستوى نسق تعبيري شعري دال.

الكلمات المفتاحية: الوعي اللّغوي، النسق اللّغوي، النّص السّردي، الرواية المستقبلية، الخيال العلمي العربي.

Abstract:

This study, which is titled “the specificity of linguistic awareness in the writings of Arab science fiction,” examines the manifestations of the linguistic system that carries the specificity and potential awareness in the contemporary Arabic narrative text, and the extent of the fictional work response to this specificity adopted in forming the linguistic side of knowledge of the other depends on the degree of comprehension presented to the reader and the writer’s thought, and we will head to the world of the future novel to demonstrate the nature of this linguistic situation adopted in writing this ne type of literature that is compatible with science and technology in a hypothetical form.

Therefore, the novel labelled “His Majesty the Greatest Father” written by “Habib Monssi” will be an experimental sample to shed light on the reality of the linguistic awareness of Arab science fiction writers, and the extent of the efficacy of the specificity that imprints the linguistic level in their creativity, through the features of science fiction manifested in them and which the language used embodies on the level of an expressive poetic level.

Keywords: Linguistic awareness; Linguistic system; Narrative text; Future novel; Arab science fiction

مقدمة:

شهِد مطلع القرن العشرين بزوغ فجر جنس أدبي جديد، الذّي سمّي بأدب الخيال العلمي بعد ظهور نماذج ونصوص عديدة سبقته وبشّرت بمولده كفن من فنون الكتابة الرّوائية المعاصرة، هذا الجنس الجديد تمكّن من تطعيم الوعي اللّغوي لدى الإنسان العادي والأديب المبدع، ومدّ التّواصل بين تطورات الفكر البشري قديمه وحديثه، وإنتاج أساطير جديدة مفعمة بمظاهر العصر الحديث وتصوّرات الأفراد المستقبلية فيه. وعليه يعدّ أدب الخيال العلمي أدبا إبداعيا ونوعا تعبيريا له خصائص ووظائف نوعية للخيال فيه آفاق واسعة، فهو بعبارة دقيقة أدب الغرابة المعرفية والمخترعات والتّطورات الحاصلة والخوارق الغامضة وخفايا الكون، نجده يسعى إلى تنظيم إعمال الفكر فاتحا أمامهم أبواب الفضاء الممكن والآخر، ويمكن تصنيفه على أنه من أكثر الأنواع الأدبية إثارة وتشويقا بحيث لا يأتي عبثا في أساسه، فهو يستند إلى معرفة علمية تقوم بالكشف عن جوانب مجهولة، من خلال الانطلاق من الحقيقة لأجل الوصول إلى ما هو متوقع وخيالي في بيئة افتراضية تتجاوز كل ما هو اعتيادي ومشابه للواقع وتهتم بالأفكار والتّوقعات والمتغيرات الطارئة، فتحمل القارئ في أبعد تصوّراته لعوالم متحضّرة فائقة التّطور، حيث يختلف في توجهاته عن بقية الأجناس الأدبية ولا يكتفي بحلم الماضي لوحده وإنما يتجاوزه إلى أبعد من ذلك، إنه علم وأدب ينطلق من فرضيّة أو نظريّة علمية محلّقا بالخيال الأدبي إلى آفاق مستقبلية، دافعه الطموح إلى تفسير الظواهر الغامضة الطبيعية والبشرية. فأدب الخيال العلمي أدب صناعة الأحلام باستقراء الواقع العلمي للخروج بتصوّرات مفترضة تشحن بالخيال الذّي يتّخذ البعد العجائبي، فهو لا يقتصر على جنس الرّواية فحسب بل يتعدّاه إلى القصّة والمسرحية والشعر، ويعتبر من الآداب الحدسيّة ويشمل أنواعا أخرى غير الأدب العلمي كاليوتوبيا والرّحلات العجائبية، وهو في جوهره تخمينات خيالية معقولة، له تيمات متعددة: كالتاريخ البديل، تحدّي الجاذبية، الانتقال الجزئي، مدن الغد...الخ، أمّا لغة الكتابة فيه فتتّسم بأنّها حافلة بحالات وجدانية مشحونة بأخيلة شكلية. ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ{خصوصية الوعي اللّغوي في كتابات الخيال العلمي العربي (رواية جلالته الأب الأعظم للحبيب مونسي أنموذجا)} محاولة الإجابة عن إشكالية جوهرية والمتمثّلة في الأسئلة التالية:

- ما مفهوم أدب الخيال العلمي؟ وما هي رواية الخيال العلمي؟
- ما هي أهم المواضيع التي تطرّق إليها أدباء الخيال العلمي في بيئته العربية وأهدافهم في ذلك؟
- كيف يؤثر أدب الخيال العلمي في مستقبل الوعي اللّغوي من خلال الكتابات العربية في هذا المجال؟
- ما هي خصوصية الوعي اللّغوي في كتابة رواية الخيال العلمي العربية من خلال رواية (جلالته الأب الأعظم) للحبيب مونسي؟

هذه الأسئلة وأخرى سوف يجيب عليها هذا المقال، من خلال اعتماده على المنهج الوصفي التّحليلي، وتهدف هذه الدراسة إلى التّنظير لأدب الخيال العلمي على العموم من خلال عرض مفاهيمه وتيماته، وتفحص ودراسة رواية الخيال العلمي العربي من خلال رواية (جلالته الأب الأعظم) للحبيب مونسي، لأجل تقصّي الجهود العربية في مجال أدب الخيال العلمي ودورها في إثراء الوعي اللّغوي لدى المتلقّي العربي بخصوصيته العلمية الأدبية و ذائقته الحضارية الثقافية.

2. أدب الخيال العلمي: المصطلح و المفهوم

1.2. مفهوم أدب الخيال العلمي:

يعتبر أدب الخيال العلمي ذلك الأدب المجازي الإبداعي والنّوع التّعبيري، الذّي له خصائصه ومِيزاته ووظائفه الخاصة بهيكله البِنائي والمضموني، ويعدّ "أدب الخيال العلمي هو الفرع من الأدب الذي يتعامل مع تأثير التّغيير على النّاس في عالم الواقع، ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل، والأماكن القاصية وغالبا ما يشغل نفسه بالتّعبير العلمي أو التكنولوجي، وعادة ما يشمل أمورا ذات أهمية أعظم من الفرد أو المجتمع المحلي. وفي أغلب الأحوال، تكون فيه الحضارة أو الجنس نفسه معرّضا لخطر"[1].

وهو في جوهره يعتبر "نوعا من المصالحة بين الأدب والعلم، أو على الأقل الجمع والتّوفيق بينهما، وفي مرحلة أولى استلهم العلماء الأدباء، ثمّ تجاوزهم فأصبح الأدباء، في مرحلة تالية يلهثون وراء اكتشافات العلماء واختراعاتهم"[2] وبهذا أصبح الأدب يسعى جاهدا لإدراج المعرفة العلمية في قالب وبناء فنّي إبداعي أدبي صِرف مستعينا في ذلك بحفريات العلم المتأصّلة؛ وعليه يعدّ أدب الخيال العلمي "أدب مملوء بالخيال يقوم على

اكتشافات علمية أو تغيّرات بيئية مفترضة ويعالج عادة رحلات الفضاء، والحياة على الكواكب الأخرى"[3].

فأدب الخيال العلمي إذن هو أدب الافتراض والخوارق والظواهر الغامضة والمستجدّات الطّارئة، وهو"يهدف إلى عرض الحقيقة العلمية بأمانة، وصدق وبنظرة مستقبلية، وإن تغلّفت بغلاف له تألّق وبريق القصّة، وهو يعالج أيضا الأفكار الاجتماعية والعلمية، بشكلها الصِّرف الخالص، وليس من هدف أدب الخيال العلمي التّنبؤ بالمستقبل؛ بل إنّه يقوم بشيء أهم من ذلك بكثير، فهو يُحاول أن يصّور لنا المستقبل الممكن"[4].

3 .رو اية الخيال العلمي

3. 1.مفهوم رو اية الخيال العلمي:

تعتبر الرّواية فنّ اللّعب بالكلمات على أوتار اللّغة الإبداعية، ففيها تتداخل مختلف المستويات الخطابية وتتباين من تاريخيّة إلى اجتماعية وحضارية ثقافية؛ وعليه شهدت الرّواية العربية المعاصرة تطوّرات نوعية من حيث الأبعاد والموضوعات والتّيمات، وهذا التّحول راجع إلى التّغير الطارئ على جوانب الحياة الفكرية المعاصرة، وتعدّ رواية الخيال العلمي وجه من أوجه التّطور الإبداعي في حركة السّرد الرّوائي، فهي نمط جديد لكتابة أدبية افتراضية علمية واقعية تُعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان للتّطور العلمي والتكنولوجي الحاصل، وذلك بتصوير الحياة المحتملة التّي تبيّن مسارها المعرفة العلمية.

لقد تعدّدت المفاهيم المقدّمة لهذا النّوع من الإبداع الأدبي الحديث من قبل الباحثين، يصاحبه في ذلك اختلاف للتّسميات ، فرواية الخيال العلمي تعدّ "خطابا سرديّا مبنيّا على المعرفة، يعتمد على الخيال لبناء واقع متخيّل يستمدّ بعض عناصره من الواقع المعيش، لكن هذا الخطاب ليس خطابا أدبيا بحتّا، إنّه علمي بمعنى أنّه يتناول حقيقة علمية تصوّر في قالب قصصي معتمدا على الخيال"[5] فهذا النّوع الأدبي يرتكز بشكل كبير على عنصر الخيال لبناء النّسيج القصصي الوهمي العلمي، تتوارى فيه الحقائق بصبغة علمية افتراضية محتملة الوقوع، و تهدف رواية الخيال العلمي إلى"البحث عن موقف الإنسان من الكون وموقعه ومحاولة وضع تفسير للّغز الذّي يكتنف الإنسان والفضاء المحيط به معتمدة على المعرفة والعلم"[6] فالطّبيعة البشرية للإنسان تجعله فضوليا يسعى إلى اكتناه العوالم المجهولة من الكون انطلاقا من الفرضيات التّي يتّكأ عليها، فهي رواية "تهيئنا للعيش في عالم المستقبل وإنّها تتحدث عن شيء موجود ألا وهو المستقبل، وهو حتما مختلف عن الماضي والحاضر وما تفكر به هو إمكانية الاستعداد له، بل وحتى السعيّ للتّدخل في صياغته وفق إرادتنا ومصالحنا"[7] وتشكّل انطلاقا من ذلك عالم آخر مستقبلي تنبّؤي، يهيئ الإنسان ويعدّه نفسيا وعقليا لمواجهة الطّيف الوهميّ للعالم المستقبلي من زاويتها العجائبية الغرائبية الطّريفة.

2.3.تيمات رو اية الخيال العلمي:

تنوّعت موضوعات رواية الخيال العلمي وتباينت في انطلاقها من الواقع لولوج العوالم المتخيّلة فعادة ما"يتّخذ الخيال العلمي تصنيفات متعدّدة، كالخيال العلمي الاجتماعي، والخيال العلمي العسكري، والخيال العلمي الموجه للطفل وأهم تيماته: فضائيون بيننا، التّاريخ البديل، العوالم البديلية، تحدى الجاذبية، الانتقال الجزيئي، عوالم أخرى، مدن الغد، عالم الروبوتات ذات الذكاء الصّناعي، اليوتوبيا «المدينة الفاضلة» وضدّها، الإدراك الفائق للحواس، البحث عن الخلود، الأرض التّي غفل عنها الزّمن، الاختفاء، أوبريت الفضاء، السّفر عبر الزّمن، أعماق البحار والأرض..."[8] وهذه التيمات التّي يعالجها الخيال العلمي تعود -في حقيقة الأمر- إلى التّنوع الحاصل في مجال الخيال، فهناك الخيال الذي يستند إلى الخرافة ويرتبط بكل ما هو ميتافيزيقي ورائي، وثمة خيال حيادي (فانتازي) لا يتّصل لا بالعلم ولا بالواقع، ويوجد أيضا خيال يأخذ الطّابع القصصي في تعاطيه مع الحياة العامة ورصدها، ويندرج ضمنه ما يعرف بالخيال العلمي الذي أثبت جدارته كنوع معرفي قادر على استبطان وتخيّل آخر ما توصّلت إليه التّقنية الميكانيكية للفكرة العلمية، التّي تنطلق من فرضيات ممكنة لتمتزج مع الواقع لأجل تحقيق ما توصل إليه العلم في مجالات الحياة المتشعّبة.

4. ملامح الخيال العلمي في رو اية «جلالته الأب الأعظم (الخطر الآتي من المستقبل) للحبيب مونسي».

1.4. تقديم الرّو اية:

تندرج رواية (جلالته الأب الأعظم) للرّوائي والكاتب الجزائري (حبيب مونسي) ضمن روايات الخيال العلمي، هذا الجنس الأدبي المعاصر الذي يحوي قضايا وتيمات تقترن بالمستقبل في علاقته بالتّطور العلمي، فهو يشتمل على أمور السياسة المستقبلية والمستجدّات العلمية الحاصلة، وكذا تصويره للكشوفات الفضائية والكونية والسّفر عبر الزمن إلى عالم المستقبل عن طريق الآلات التكنولوجية المفترضة، كل هذا لأجل حلّ ألغاز الماضي التّي يكتنفها الغموض والدّهشة، وفضّ الصّراع القائم ما بين العقل والآلة، وهذا ما يجعل منه أدبا ازدواجيا يمازج بين ما هو واقعي وما هو خيالي افتراضي. والرّواية قدّمها لنا (مونسي) وفق رؤية مستقبلية، يتجسّد ذلك من خلال تخطّي الزّمن الحاضر واستشراف الزّمن المستقبلي المنتظر وقوعه، فهو افتراضي غيبي لا يّدرك بالعقل البشري القار، بل يتعدّاه إلى أبعد من ذلك وهذا ما تجلّى فعلا من خلال العنوان الفرعي للرّواية الموسوم بـ: (الخطر الآتي من المستقبل)، إضافة إلى ذلك تضمّنت الرّواية عنوانين الأول (تمّ للرجل المعجزة ما أراد)، والثّاني (عملية البعث الكبرى)، والرّواية تقع في 360 صفحة -للإشارة فالرّواية ترتبط بقدر كبير بالثقافة العربية وكل ما يحيط بها من ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية دينية إسلامية- والشّيء الذّي يميّزها هي النّظرة التّنبؤية للغد المأمول، هذا الغد الذي يشوبه الغموض والإبهام بحيث أنّنا لا نعرف ما سيحدث فيه للأمة العربية الإسلامية والعالم برمّته. والملاحظ أنّ بداية الرّواية قد تمّت برسائل ذات الصنف الانتحاري من سنة 2012 إلى غاية سنة 2026 وهي رسائل لأشخاص سئِموا الوضع الحاصل والسّيطرة المفروضة من قبل نظام عالمي متسلّط ، هذه الرّسائل ربّما توحي لنا بالمصير الذّي ستؤول إليه الحياة البشرية التّي تجابه المدّ التّكنولوجي العلمي التّي تقود غماره الآلة العلمية المتطوّرة.

والملاحظ أنّ متن الرّواية استقى كثيرا من الثقافة الإسلامية التّي استخدمها الرّوائي كأداة لتذكية خياله الذّي يستشرف الآتي من المستقبل القريب، وينبّه في ذلك الذّات الواعية القارئة بالحقيقة المتوارية خلف حُجب القوة والتّسلط، التّي تنبعث رائحتها النّتنة من هيئات ومنظمات شعارها (البقاء للأقوى والخلود للأعظم)، ومنها المنظّمة الماسونية التّي ذكرها (حبيب مونسي) وتطرّق في ذلك إلى جذورها وكذا رموزها، وكل ما ينطوي تحتها من أهداف ومكائد شيطانية تضمر للبشرية الشّر وتنبأ بمستقبل غامض لها، مدّعية في ذلك الخير لها من خلال ذريعتها التّي تنادي بتحرير العقل البشري من كل العوائق والقيود الأخلاقية التّي تأسرها والرّوائي كشف لنا في روايته حقد وشرور الماسونية كمنظمة سرّية يهودية نتنة، تبثّ سمومها القذرة عبر قنوات وفجوات باطنية التّي حقّقت بها حضورا وتألقا في الماضي الغابر، وتدعّم مذهبها حاليا بأساليب وطرق خبيثة وفاسدة. وبهذا يكون (حبيب مونسي) قد قدّم لنا أحداث الرّواية في عصر تملأه التّكنولوجيا والتّطور العلمي والصّناعي، عصر الآلة و الرّقمنة وهذا ما يواكب فعلا عصرنا الحالي؛ وعليه فالرّواية تشقّ طريق المستقبل من خلال رصدها للتّجربة الإنسانية في مضمار زمني افتراضي مجهول الأبعاد، يستند إلى الخيال العلمي لأجل الوصول إلى الحقيقة في (جلالته الأب الأعظم) التّي تهتم في صميمها "بإنسان الغد، إنسان المجتمعات المستقبلية، بمعنى أنّ التّوقُع والاحتمال يشكلان جوهر الكتابة في الخيال العلمي، إذ أنّ التّنبؤ في رواية الخيال العلمي هو هدف أسمى"[9].

2.4. خصوصية لغة السرد بين الأدبية والعلمية في الرواية :

إن الحديث عن خصوصية لغة السرد في رواية الخيال العلمي يحيلنا إلى نوع اللغة المستعملة في تشكيل البناء السردي العام للرواية، فعن طريق اللغة تتشكل الأحداث وتتنامى وبها تتم مقصدية المتن الروائي وبنائه الفنيّ، فاللغة في الرواية لها أهمية كبرى فهي بمثابة الآلة التّنظيمية التي تقوم " بتثبيت مفردات الدلالة وبناء هيكل المعنى للنص ، وتنظيم عمليات التصوير والرمز دون أن يصل من التّبلور والكثافة والتشيؤ إلى الدرجة التي يحل بها محل عناصر السرد الأخرى؛ أي دون أن تصبح الكلمة المتوهجة هي منطلق الطاقة التّصويرية ومناط الإبداع"[10] ، وعليه فالسرد الروائي في رواية الخيال العلمي يتشكل في ألوان سردية مختلفة باعتماده تقنيات متنوعة كالتحويل والمسخ وتجاوز المألوف للغوص في عوالم ممكنة وخارقة؛ فالشخصيات المختارة غالبا ماتكون غير معتادة و غير مألوفة تكون في بداية الحكاية شخصيات إنسانية ثم تتلاشى وتحل محلها كائنات عجائبية خيالية تتمثل الرسالة المقصودة عبر إيماءات وسلوكات خارقة تترجمها في شكل علامة مادية دالة.

وأما عن خصوصية لغة السرد في الرواية المستقبلية فنجدها " تتصف بأنها أيقونية تحول الرسالة إلى شيفرة تولد تمثلات وتصورات لعوالم أخرى خيالية ؛ وهذه الشيفرة تساهم في إنتاج كيانات لغوية جديدة أطول من الجملة ؛ تعتمد أسلو ب الدهشة والصدمة المنتجة للمعاني المنشطرة والمتشظية"[11] ، وأما اللغة التي تكتب بها فتكون ممزوجة مابين الخيال والحقيقة؛ فأما الخيال تمثّله المخيّلة الأدبية التي تكون مدعمة بالحقائق العلمية حيث يستعملها الكاتب لصقل وإنشاء أدبه الذي هو بصدد إنتاجه، والحقيقة تتمثل في تلك الحقائق العلمية التي تكون مستقاة من الواقع والتكنولوجيا والطبيعة... الخ ، وتكون مستوعبة في ذهن الكاتب ليكون قادرا على تمثّلها عند عملية كتابة محتوى الرواية، فهكذا إذا تم المزج الصحيح بين المكون الأدبي بصبغته الخيالية والمكون العلمي الحامل للحقيقة الفعلية يكون الكاتب قد نجح في تطعيم الأدبي بالعلمي، فيكون نصّه خليطا بين لغة أدبية خيالية ولغة علمية موضوعية شعارها الحقيقة والعلم شريطة أن تكون مبنية على ركيزتين أساسيتين هما التوقع والاحتمال، كما تتّسم هذه اللغة بالحركية بحيث تكون قادرة على جعل المتلقي يتصور ويبني فضاءات محتملة في ذهنه عما يقرؤه، فيجد نفسه منصهرا مع الأحداث الروائية بل ومسافرا عبر آلة الزمن في المستقبل المحتمل متطلعا لعالم مثالي بعيدا عن ماهو موجود في الماضي والحاضر. والسرد في رواية الخيال العلمي يبتعد قدر الإمكان عن الإطناب والحشو اللغوي حيث يلخص الحوادث والمشاهد في أفكار قليلة تمثّلها جمل موجزة معبرة عن سلوكات ملموسة، كما يعتمد الحوار الخارجي ليساهم في تفعيل منحى السرد وتطوير مجرى الأحداث، " كما أن لغة الكتابة فيها تمارس سلطة لامرئية بتواطُؤ مع السارد وتقنيات السرد والفضاءات الممكنة والمستحيلة ،باعتمادها رموزا تتخذها كأدوات للتواصل، أدوات متناسقة لها معنى تنتجها عملية القراءة والتأويل؛ لإنتاج فائض المعنى، حيث يكون القارئ منهمكا في تتبع حركية اللغة بحركية العين ؛ وعندما تتحرك العين فإنها تنقل اللفظة من مستوى الحروف لتعكسها صورا متحركة بألوانها الطبيعية "[12] .

وعليه ومن هذا المنطلق سنقوم باستقراء خصوصية لغة السرد في روايتنا المختارة (جلالته الأب الأعظم - الخطر الآتي من المستقبل-) للروائي الجزائري (حبيب مونسي) ، - كما أسلفنا الذكر- فالرواية قدمها لنا الكاتب وفق رؤية مستقبلية من خلال تخطي الزمن الحاضر واستشراف الزمن المستقبلي المفترض وقوعه ، وعنوان الرواية خير دليل على ذلك.

و ليس ببعيد عن مضمون الرواية سنلج إلى عالم السرد الذي يشكّل فحوى المتن الروائي من خلال اللغة المستعملة في نسج الأحداث لتبيان الخصوصية التي تميز لغة السرد التي تنتهجها رواية الخيال العلمي ، بداية يمكن القول بأن الروائي(حبيب مونسي) أثناء عملية التأليف والكتابة باللغة فهو يقوم بعملين اثنين في الآن ذاته وهذه اللغة في حدذاتها تقوم بتفجير السرد الروائي بمعنى أن الكاتب يمارس فعل الآداء/اللغة وفعل الإنتاج/ السرد في الآن ذاته، وهذا يساهم بدوره في خلق نوع من الانسجام والتوافق اللفظي تصبح فيه الرواية متجاوزة السرد الكرونولوجي إلى سرد آخر يكون أقرب إلى التشطير المشهدي والتشظي أي تحول المقطع الروائي إلى مقطع مشهدي معبر ومكتفي بذاته.

وبالعودة إلى رواية (جلالته الأب الأعظم) يمكن القول بأن (حبيب مونسي) ينطلق في تعامله مع اللغة من بعد أدبي(جمالي خيالي) علمي (موضوعي) يرى بأن اللغة الأدبية الممتزجة بالحقائق العلمية قادرة على صنع المفارقة الجمالية في الكتابة الإبداعية التي تجعل الصورة الروائية تجسيدا فنيا إبداعيا على مستوى اللغة والتعبير، وذلك باستعمال التّخييل والاحتمال. وإنّ القارئ المتصفّح لفحوى الرواية إذا قرأ هذا النص الروائي يدرك لامحالة أنّ (حبيب مونسي) وهو يخوض غمار الكتابة الروائية ويطاوع اللغة ،يلمس تلك البساطة في التركيب الممتزجة بنوع من الصرامة العلمية البحتة، وهذا إنمّا ينّم عن حسّ وذوق رفيع يمتلكه الكاتب يبرّر قدرته على الفهم والإدراك الذي توضع على عاتقه أثناء مواجهة القارئ ، كما يوحي أسلوبه بثقافته العلمية الواسعة المستفيدة من معطيات العلماء إنه قارئ ذكي لمنجزات العلم ،حيث حاول الاستفادة منها أثناء بناء تصوراته المقبلة للعالم الذي سيكون مستقبلا انطلاقا ممّا هو سائد في عالمنا الذي نعيشه ، من خلال استشراف المجهول الذي يعتبره في الرواية الخطر الآتي من المستقبل مستندا في ذلك على خاصية التوقع والاحتمال .

ولعلّ وقفة قصيرة عند لغة هذا الروائي تعكس لنا بجلاء مانروم تأكيده في هذا المقام ، حيث ورد في إحدى الرسائل الانتحارية التي تصدّرت الرواية وهي الرسالة الثالثة، ماينمّ عن خصوصية اللغة التي تراوحت بين الأدبية و العلمية ،

وهذا عند الحديث الذي دار في مضمون الرسالة والتي كتبتها البروفيسورة هيلين. د. أسلو والتي تملك خادمة آلية اسمها (أولقا) تدير شؤونها، حيث واجهتها ذات يوم بحديثها حول الإنسان الأمر الذي حزّ في نفسها نوعا من القلق والحيرة ، "قالت (أولقا): - أنت لست إنسانة ، أنت مثلي في كل شيئ، لاتختلفين عني إلاّ في مادة التركيب . فقد راقبتك عن كثب لأضيف إلى علمي شيئا عن الطبيعة الإنسانية ، ولم أجد فيك أكثر مما أجد في نفسي . ورحت أبحث عن المشاعر الإنسانية، وميزتها عن غيرها، فلم أجد لذلك أثرا. كل ماهنالك مجموعة من العادات التي ارتبطت بك ارتباطا وثيقا فتسمينها إحساسا، شعورا،عاطفة،حبا، غضبا، رأفة.. وقد وجدت أن الظرف الخارجي هو الذي يملي عليك هذه الإنفعالات . فلو ضغطت على أزراري بصفة عشوائية لكان مني انفعال الغضب مثلا ..، أو انفعال الألم، أو غيره من الردود المعروفة .. ولست وحدك ، بل هنالك العشرات ممن شاهدتهم ، الأشكال أشكال آدمية ، والتركيب تركيب آلي"[13] . فلغة السّرد التي تبناها الكاتب هنا هي لغة أدبية تميل نوعا ما إلى اللغة العلمية من خلال مزجه بين مفردات أدبية و أخرى علمية وهذا تجسد من خلال الحوار الذي دار بين البروفيسورة هيلين وخادمتها الآلية التي تتحدث عن الطبيعة الإنسانية بنبرة استشرافية ذكية تكاد تكون واعية.

أمّا عن طبيعة اللغة التي قدّم بها الروائي نصه السردي – على العموم- فقد تراوحت بين الأدبية والعلمية وقد طغى الجانب الأدبي في بدايات أحداث الرواية ، أما اللغة العلمية فقد استحضرها الكاتب بين ثنايا الأحداث تارة وكثّف حضورها في نهاية الرواية لكنه دائما لاينسى تطعيمها باللغة الأدبية الشارحة لمقتضى الحال ، وهكذا استطاع الروائي بحنكته الواعية أن يسوق القارئ بطريقة غير مباشرة ليضعه في جو الخيال العلمي لكن بأسلوب ذكي مراوغ من خلال مزج الألفاظ الأدبية بالعلمية بتقديم مشهد درامي شعاره الخيال وتمثّل الحقيقة الغائبة في بعض مشاهد الرواية التي وضعها عن قصد منه.

وليس ببعيد عن عالم الرواية وأحداثها الشائقة نجد (حبيب مونسي) يبدع حقا في تصوير أحداث الرواية من جهة ومن جهة أخرى طريقة تقديمه لوجهات نظره حول الإنسان/ الإنسانية، الخير/الشر ، الحق/الباطل، التقدم التكنولوجي/الخمود الفكري، الحاضر/ المستقبل، الحقيقة/العلم ، القوة/السيطرة...الخ، ومن خلال آراءه الصائبة حول هذه الثنائيات نجد الروائي بوعيه الثاقب يعالج قضايا متنوعة ويدرجها ضمن موضوعه الرئيسي العام حتى يتسنى له الإحاطة التامة بموضوعه الرئيسي وهو استقراءه لمستقبل الإنسانية الغامض الذي يعتريه الخطر، التوتر والقلق والحيرة اللامتناهية.

ومن خلال الرواية دائما وبالعودة إلى لغة السرد المشكلة لفحوى المتن الروائي نجد الكاتب يعمد لتصوير مشاهد الرواية بدقة متناهية، وهذا ماورد عند حديثه عن بعض المواضيع التي شغلت باله وأرقته، يقول:" وإذا بالتقدم التكنولوجي الأعمى، لعنة عمياء ترف بأجنحة الغراب على البشرية الحائرة، التي فقدت قدرة الإتزان ،وتاهت وراء رتابة الآلات، تحاكيها في أفراحها وأحزانها. تقف أمامها وقفة العابد أمام النصب ، وترفع إليها الطرف حائرة لتسألها قليلا من الراحة.. قليلا من العطف .. قليلا من الشفقة .."[14] ، وهنا يصور الكاتب هفوات التقدم التكنولوجي التي تسلطت على البشرية كأنها لعنة مقصودة – حسب الروائي- حيث تاه الإنسان وراء بريق الآلة يقلّدها في مهامّها لكأنّه هيكل بدون عقل وضمير فأصبحت الآلة هي المسيطر والإنسان هو العبيد التابع لها ولنزواتها وهنا وُضع الإنسان بين نارين الخضوع والتمرد في حالة التورط في مستنقع الآلة.

وبالرجوع إلى اللغة التي تشكل أحداث الرواية نجدها لغة واصفة تمتح من خبرة صاحبها ووعيه السليم، فطريقة تركيبه للمفردات تنم عن إحاطته التامة بقواعد اللغة لذلك أتت تراكيبه اللغوية مصقولة ببلاغة تامّة، هذا وإن طعّمها بلغة العلم فإنها بقت محافظة على توازنها ومقامها التي وضعت من أجله وهذه الصفة طغت على متن الرواية برمته، وهذا المقطع الذي اخترناه من الرواية يوضح ذلك يقول الروائي :" تطايرت الأخبار إلي وأنا في حيرتي وشرودي أراجع مقالات والدي ،وأتصفح نشرات المجمع ، فإذا بالرجل المعجزة يطل من أرض فارس حاملا راية الصلاح، يهدي الأمم الضائعة بفيض من العلم الغزير ، وحكمة بالغة، تمزج بين التطور التكنولوجي والهدف الأسمى للإنسانية. فتنقلب الآلة في يده إلى آلة مطيعة ،لاترهق الإنسان، بل تسعفه إسعاف الممرضة الحنون . تلبي نداءه قبل أن يتفوه به، وكأنها تقرأ رغباته على صفحة وجهه وهي تختمر في صدره، فتزداد سعادة.. هكذا سمعت.. وحكمته التي شملت كل شيء ترى رأيا بعيدا يجعل من الشتات كتلة ،

ومن التفرق وحدة ، ومن التنازع وحدة، ومن الحيرة يقينا، ومن الضياع وجودا إيجابيا يعمر الكون ، ويسخر قواه الطبيعية تسخيرا ماخطر على قلب رجل من قبله ، ولن يخطر على أحد من بعده ، وجاءت معجزته من وراء ذلك لتؤكد للشاكين مصداق مايدعي ويفعل ، ترفع عن الحائر حيرته ، وترد للضائع اتزانه ووجوده"[15].

ويتابع (حبيب مونسي)سرده للأحداث التي جرت مع ظهور الرجل المعجزة الذي حسبه سيغير مجرى الحياة والعالم برمته ويرسم للمستقبل طريقا جديدا حافلا بالأمجاد والبطولات الخارقة، مدعّما حكمه للرعية بما وصل إليه التقدم التكنولوجي ومستعينا بالآلة الإلكترونية والعقل الجبار الذي حسبه استحوذ على كامل صلاحيات البشر ، من خلال التنبؤات وقراءة المستقبل والحاضر واستحضار الماضي في ظرف وجيز ،كل هذا وذاك قدمه لنا الروائي في دقة سردية لغوية أدبية علمية مدروسة أماطت اللّثام عن لغة راقية ممزوجة بألفاظ أدبية علمية عكست لنا المستوى الثقافي والعلمي للكاتب وقُدّمت لنا وفق خصوصية لغوية سردية متميزة يقول الكاتب : " وأردف جلالته قائلا :- إن اختيارنا للعقل الجبار سيسهل علينا إنجاز مانحن فيه الآن، لأننا سنواجه عقولا مازالت فيها حثالات الماضي تتخمر وتتفاعل، فإذا لم نقدم البديل الحسن، وندعمه بما أعددنا له من أجهزة ووسائل إغراء لنسد به الثغرة الدينية(...) – هذا العقل أعجوبة من أعاجيب التقدم التكنولوجي ،الذي قدمته البشرية لنا وهي تلهث عن كل جديد في سبيل اكتساب السيطرة التي تمكنها من إذلال الرقاب .. هذا العقل ياجوراس هو الذي سيفكر بدلنا تفكيرا رياضيا منطقيا دون تعثر.. فإن وصل العقل الجبار إلى نتيجة، استحال أن يصل إليها عقل أي إنسان في أطراف الأرض.."[16].

كما نشهد بلاغة اللّغة الأدبية العلمية الواصفة في هذا المقطع السردي من الرواية " لم يكن المعلم العجوز يؤمن باتحاد العقل البشري والعقل الآلي ،وكان ينظر إلى آلات التعليم بريبة وازدراء. وإذا به اليوم يشاهد كيف يتفاعل العقلان لاختصار المسافات الزمنية ،وتذليل العقبات، وكيف تنشط الآلة مواقع خاصة للذاكرة في الدماغ، وكيف أن المعارف تنقش فيها نقشا مباشرا قصد التخزين.. إن الشيء الإنساني الوحيد الذي ظل يعتز به هو الذكاء.. نعم الذكاء.. تلك الميزة التي لاتنشأ أبدا عن التخزين المعرفي، لأنه في إمكان الآلة أن تجعل جميع الناس على اختلاف أعمارهم موسوعات دقيقة المعارف،ولكنها لن تستطيع بحال من الأحوال أن تجعلهم أذكياء.."[17] .

ونختم حديثنا هنا بعبارة (لصلاح فضل) كان قد قالها في سياق حديثه عن بلاغة لغة السرد " يهب النص السردي نفسه للمتلقي في توافق مدهش يدعوه لاحتوائه مرة واحدة. حتى ليوشك على امتلاكه واختزان أبرز معالمه"[18]، وطبعا لايكون حال النص مع قارئه كذلك إلاّ إذا كانت لغة السرد تمتلك مقدرة دقيقة على الوصف والتّأمل الشديد في تفاصيل البنية الروائية الدّالة عليها.

5. شعرية النّسق اللّغوي في البناء الرّوائي:

تشكّل اللّغة في أيّ عمل أدبي اللّب المركزي الذي يُستند إليه في بناء الأفكار والرؤى الإيديولوجية، ولا يتحقق الخطاب الأدبي إلاّ بها، فلا يمكننا تصوّر رواية أو قصة دون لغة؛ فقيمة العمل الإبداعي تكتسب من قوة لغته ورصانتها فاللّغة - على العموم- تعمل على تحديد خصوصية الإنسان، وهي في جوهرها "تبطن عددا كبيرا آخر من نظم التّقاليد الاجتماعية، العرف الاجتماعي، الطقوس، العقيدة، ثم الفنون التّشكيلية... هذه النظم، نظم نمذجة ثانوية، وفي مجال الأدب يعدّ النّص أكبر وحدة تنظيم ملموسة لأنّه -على أية حال- قابل لفك رموزه، فقط في حدود نظامه المنظّم"[19].

وعليه فاللّغة في الخطاب الرّوائي تؤّدي وظيفة نوعية جمالية لقدرته (الخطاب الرّوائي) على استيعاب وتمثّل تجلّياتها وتمظهراتها، لأنّه "من الممكن تصوّر رواية من غير أحداث، ولكن لا يمكن تصوّر رواية خارج اللّغة"[20]ومادامت الرّواية باعتبارها جنسا أدبيا يقوم على الخيال اللّغوي في تصويرها للوقائع والتّجارب الحياتية والمستقبلية، فإنّها تعمد إلى استخدام لغة رمزية شعرية لكي تحقق المقصدية الفنّية لبناء الأحداث الدرامية داخل المتن الرّوائي، الذّي على صعيده يتمّ التّجريب وداخله يتجسّد كل ما هو إيديولوجي مجتمعي، انطلاقا من عمليتي الوصف والسّرد يتم إنتاج المعنى الذّي يساهم في تقديم الشّكل النّهائي للعمل الإبداعي.

وانطلاقا من هذا العرض التّمهيدي ومن خلال حديثنا عن لغة الرّواية بشكل عام ننتقل إلى الحديث عن شعرية اللّغة في الرّواية المستقبلية التّي بين أيدينا (جلالته الأب الأعظم)، التّي قدّمها لنا (حبيب مونسي) في قالب فنّي لغوي مغاير يجسّد لنا الخصوصية التّي تطبع الوعي اللّغوي في كتابات الخيال العلمي

العربي والجزائري -على وجه الخصوص- من خلال الأنساق اللّغوية التّي تركّبها وتقدّمها في أشكال إبداعية واعية تحمل إيديولوجيات أصحابها، وبما أنّ الرّواية تنتمي إلى أدب الخيال العلمي فإنّ اللغة التّي تشكّلها تميل إلى الجانب الوجداني وتتزيّ بأضرب من الخيال وهنا تمتزج المكوّنات لتركّب لغة شعرية فنيّة خيالية صِرفة تتماشى مع طبيعة المجال الذي تشتغل عليه.

والملاحظ -عموما- أنّ اللّغة التّي تتعامل معها رواية الخيال العلمي تختلف عن الرّواية العادية شكلا ومضمونا؛ إذ تعتبر اللّغة العلمية أهم عنصر مشكّل للخطاب في الرّواية المستقبلية "ونرى أنّ الخطاب العلمي أهم خطاب في هذه الرّواية، والحجر الأساس الذي تقوم عليه"[21] وفي الرّواية العادية نجد أنّ اللّغة هي المادّة الخام التّي يُستند إليها في بناء العمل الفنّي برمّته، فتمتاز بكونها لغة فنّية شعرية وجدانية جمالية؛ أمّا في رواية الخيال العلمي فاللّغة نجدها مباشرة تقريرية تميل إلى البساطة لأجل الإبلاغ أو توصيل مضمون حكائي في قالب علمي معين أو مفهوم ما، إلاّ أنّ هذا لا يمنعها من اتخاذ البعد الفنّي الجمالي بناءا لهيكلها، لذا فهي لغة تتّسم بالعلمية والغرابة وعلى مستواها يحدث التّشابه والتّكرار نظرا لاستعمال مرادفات من حقل علمي واحد، وهذا يكون على صعيد وضع المصطلحات العلمية المشكّلة لموضوع الرّواية. ونجدها تبتعد عن اللّغة الإنشائية قدر الإمكان وتخلو من المشاعر والعواطف المفتعلة وتتجاوزها إلى أبعد من ذلك، لتصبح عبارة عن وسيلة للكشف عن السّياق العام أو موضوع الرّواية وفق طريقة فنيّة لا تخلو من لغة تقنية مصاحبة، و ليس ببعيد عن روايتنا (جلالته الأب الأعظم) تتأكّد تلك النّبرة العلمية الممزوجة بنكهة فنّية استثنائية، حيث عمد الرّوائي أثناء انتقاء لغته إلى اختيار مصطلحات مناسبة استشرافية لتواكب الرّاهن وتخلق عالم المستقبل وفق رؤية مستقبلية تتخطى الحاضر لتتكهّن بما هو آتي.

والمتصفّح للرّواية يلاحظ مدى الثّراء اللّغوي الذي امتاز به قاموس الرّواية التّبليغي-وهذا يعود بطبيعة الحال إلى الثقافة الواسعة التّي تميّز بها كاتبنا- فقد استقى مصطلحات من الحقل الدّيني عندما وظّف نصوصا نقلية من القرآن والسنّة، وقد وردت في الرّواية في مناسبات جعلت الرّوائي يستحضر القصص القرآني والنّبوي ليؤكد صحة ما آلت إليه البشرية وما ستلاقيه مستقبلا استنادا إلى رؤية استشرافية واعية، وهذا ما تجسّده بعض هذه الأفكار الواردة في المتن الرّوائي والتّي سنورد منها بعض المقاطع يقول السّارد:

- "فإن يكن خلاصا فالنّبي موسى (عليه السّلام) خلّص بني إسرائيل من الذل والهوان، وجمع شملهم، ونظّم صفّهم، وصنع منهم شعبا تتولاه العناية الإلهية في رحلته الشّاقة من أجل البقاء (...) أيكرّر قول فرعون لزوجته...نتخلص منه فإنّه عدوّي..و قولها..قرّة عين لي ولك.. "[22].

- " ذلك الدين الذّي ذكرت كان عندنا نحن العرب..مخطوطا في كتاب نزل من السّماء على آخر الأنبياء (محمد صلى الله عليه و سلم) عرفنا به العز والتّطور والحضارة، ولمّا دبّ فينا الخلاف وأهملنا تعاليمه، ارتكسنا إلى الضّعف والهوان"[23].

ومن خلال هذه المقاطع نستشّف حضور القاموس اللّغوي الإسلامي في الرّواية، استعان به الكاتب ليؤكّد صحة ما يذهب إليه. وهذا التّوظيف الذي أثرى به الرّوائي متنه زاد من شعرية النّسق اللّغوي المركّب لهيكل الرّواية، كما عزّز الجانب الدلالي الذّي خدم موضوع وعنوان الرّواية، وهذه إضافة نوعية خدمت المنحى الزّمني السّردي ومثّلت لغة موازية للّغة الأصلية للرّواية، وهذا ما جسّد المفارقة بين ما هو واقعي مجرد وخيالي محتمل؛ وفي بعض الأحيان حقائق ملموسة منتظرة الوقوع في المستقبل الآتي، لتفجّر بذلك طاقات إيحائية متتابعة وهذا الوضع جعلنا نقع أمام بنية تقابلية تعمل على تفجير الجوانب الفنّية للشعرية، وتتجاوز لغة المفارقة في وضعها المصطلحي وتشدّ المتلقّي إلى اكتناه العدول والانحراف الحاصل على مستوى التّعبير، لينزاح بفكره نحو عوالم الجمال المتوارية خلف حُجب الفن والإبداع ليتجاوز الشّكل النّمطي إلى شكل غني يسرح بتأويلاته فيه كما يشاء، ويتخيل العالم الممكن انطلاقا من الافتراض والاحتمال.

بالإضافة إلى القاموس اللّغوي الدّيني الذّي استعان به (حبيب مونسي) لخدمة أحداث الرّواية وتأكيدها، والذّي أضفى بدوره شعرية خاصة كان للّغة العلمية النّصيب الأوفر من الاستعمال -كون الرّواية من أدب الخيال العلمي- لأنّ الجنس الذي يتعامل معه الرّوائي فَرَض عليه استخدام مصطلحات علمية تشمل كل ما يتعلق بالتكنولوجيا والآلة وبعض النّظريات والفرضيات العلمية الشائعة في عالم الافتراض والخيال العلمي .وعليه جاءت اللّغة المشكّلة لفضاء الرّواية عبارة عن صياغة للحياة المستقبلية التّي ستشهدها البشرية، انطلاقا من جملة من المصطلحات التّي عملت على

خلق الاندماج اللّغوي بين ما هو واقعي وخيالي في شعرية خالصة تعجّ بالفنّية وتغوص في عالم الإبداع الافتراضي، من خلال توظيف الرّوائي لبعض التّقنيات والبرمجيات العلمية التّي ألغت دور العقل البشري وعرّضته للجماد والخمول في رحلة وهمية أفقدته فاعليته في عالمه الواقعي، وغدا كالآلة ساكنا مذهولا أمام هذا الزّخم التّكنولوجي الذّي أحدث موجة عارمة من التّطور شملت كل المجالات الحياتية بحيث لم تترك شاردة ولا واردة إلاّ أتت عليها، وحتّى المشاعر الإنسانية النّبيلة قضت عليها، وهذا ما جسّده الكاتب في الرّواية وفي هذا السياق سنتوقف عند بعض هذه المشاهد من الرّواية التّي تؤكد ذلك كما توضّح الوضع المزري الذّي حلّ بالبشرية عموما وبالإنسان خصوصا عندما ابتعد عن وظيفته المستندة إليه عبر لغة علمية فنّية رصينة- يقول السّارد:

- " والتفت حولي أبحث عن حقيقتي ، فلم أجد سوى هذه الآلة العالمة،تلاحقني من مكان إلى مكان،تقدم لي الأجوبة الجافة ، الخالية من كل حياة. وبدأت أشعر بصدق قولها..إذن أنا لست إلا آلة صماء مثلها،تشكل حلقة من حلقات سلسلة طويلة تكون جهاز المجتمع الميت الذي أنتمي إليه.أين الأسرة؟ أين الأمومة؟ أين المشاعر والعواطف؟..أين الأمل؟..أين الأحلام؟إني لاأعرف إلا أسماء أحفظها ولا أدرك معانيها، ولا أجد لها أثرا في صدري..ولا في عيون الذين أصادفهم..وكلما حاولت أن أبحث عنها في كتابات العصر التي كتبت خصيصا للترويح عن النفس ، ورفع الضيق ، وجدت دائرة الجنس ،و الخمر،والمخدر تعود على الصفحات، وكأنها سلاسل الجحيم ،لايستطيع الكتاب الفكاك منها.تفرض نفسها عليهم في كل سطر "[24].

- " وقد تأكّدت السّاعة أنّ العقل الجبّار هو الذي يتولّى هذه المهمّة بمساعدة عقول أخرى مخصصّة لكل طبقة(...) لقد ذكرت أنّكم عرضتم أول مرّة على آلات ضخمة تبتلع الواحد منكم، ثمّ تلفظه وقد سلبت منه إنسانيته، وسخّرته لمهام محدودة "[25]. لقد شكّلت مجمل هذه المقاطع الحقل العلمي الذي يتعامل معه الرّوائي، والذي تمتزج فيه نبرة الخيال بنبرة الواقع ليخلق لنا عالم الافتراض في قالب علمي يغزوه الخيال وتدعّمه الحقيقة المحجوبة خلف غياهب التّوتر والصّراع؛ ولا يتأتّى هذا إلاّ في قالب لغة علمية خيالية شعرية تُنشد الفنّية لتواكب الرّاهن في قناع متوارٍ عن الأنظار، خلقه أسلوب (حبيب مونسي) المتميّز من خلال قدرته على المزج ما بين الأحداث بنوعيها الافتراضية الاستشرافية والواقعيّة المجرّدة، وعليه جاءت المصطلحات العلمية التّي وظّفها الكاتب لتعكس بلغة العلم الفضاء الخاص برواية الخيال العلمي (جلالته الأب الأعظم) ، وأمر اللّغة لا ينتهي عند جانبها الشّكلي فحسب وإنّما تتحول إلى أداة لنقد وضع البشرية جمعاء التّي ستواجه - قريبا- مستقبلا عصيبا مع ذاتها وقيّمها، وهذا ناتج عن تحويل الإنسان لنفسه إلى آلة عاملة منتجة خالية من المشاعر والقيم الإنسانية والجمالية، تعبث بوظيفتها المسخّرة لأجلها لاهثا وراء العلم والآلة التّي أفقدته عقله وحلمه وطموحاته، فالمستقبل الذي ينتظره هو مستقبل مجهول غامض. وهذه هي الرسالة التّي أراد الرّوائي أن يوصلها عبر لغة شعرية محمّلة بالتّرميز والعلامات الدّالة تجسّدت في النّص الموازي -بلغته الإيحائية- للنّص الرّوائي بلغته الفنّية الإبداعية، وهنا اكتملت الدلالة وتحقق الإبداع، والمتأمل في متن الرّواية يجد أنّ (حبيب مونسي)قد تلاعب -حقّا- بالمستوى اللّغوي من خلال التّنويعات الكلامية واللّغوية التّي طعّم بها روايته، فقد افتتح نصّه برسائل انتحارية كتبها بلغة إبداعية ، تمهّد لأحداث الرّواية بلمسة واقعية يشوبها قليلا من الخيال، ثمّ انتقل إلى المزج بين اللّغة الدّينية واللّغة العلمية، التّي جسّدت موضوع ودلالة الرّواية بعمق، مع إضفاء البعد الدرامي للأحداث من خلال الاستعانة بلغة شعرية لتلطيف المشهد من حين لآخر، وهذه التفاتة ذكية سلسة من الكاتب لا يتقنها إلاّ ذوو الحسّ الرّفيع، وعليه استطاع الرّوائي أن يصنع لروايته نَسقا لغويا عزّزه الجانب الشّعري الجمالي الذي حافظ على تماسك البناء الفنّي اللّغوي للرّواية، و كل هذا مثّلته اللّغة المستعملة التّي أنابت عن العالم المستقبلي الذي أراد (حبيب مونسي)أن يرسم معالمه بوعي لغوي تام من خلال نسق تعبيري رمزي "لذا أصبح من الضروري فهم اللّغة من أجل فهم العالم، فإذا كانت اللّغة ليست لذاتها ولكن لعالم تفتحه وتكشفه، فتأويل اللّغة لا يختلف عن تأويل العالم"[26]. ومن هنا لا يمكننا تجاهل الدّور المهم الذّي تؤدّيه اللّغة في تنمية الوعي المعرفي لدى القارئ من جهة، و من جهة أخرى تحكّمها في سير الأحداث الرّوائية أيّا كان نوعها خيالية كانت أم واقعية هذا وهي "التّي تفرض عبر زمكانيتها زمكانيّة النّص، وعبر قدرتها (ومن خلال تأثيرها على المخيال الاجتماعي والذّاكرة السيكولوجية الجمعية) في تحويل الزّمن الاجتماعي إلى زمن ميتي (..) ويمكن

إدراك ذلك في قراءة دور الأسطورة والمخيال في التّأثير على الأحداث الموضوعية"[27].

خاتمة:

نصل في نهاية هذه الدّراسة التّي تبحث في موضوع (خصوصية الوعي اللّغوي ومدى تجلياته في كتابات الخيال العلمي العربي)، إلى جملة من النّتائج التّي ترتبط بالنّص الرّوائي -تحديدا- و طريقة مواكبته لتيمة الخيال العلمي - الذي أضاء جانبا مهمّا من الإبداع الأدبي وأدخله ضمن تيار المعاصرة، ليتحرّر من القوالب المتوارثة والمعتادة في معالجة الرّاهن بأسلوب استشرافي مغاير- و سنوجزها في العناصر التالية:

- يمكن القول بأن (حبيب مونسي) ينطلق في تعامله مع اللغة من بعد أدبي(جمالي خيالي) علمي (موضوعي) يرى بأن اللغة الأدبية الممتزجة بالحقائق العلمية قادرة على صنع المفارقة الجمالية في الكتابة الإبداعية التي تجعل الصورة الروائية تجسيدا فنيا إبداعيا على مستوى اللغة والتعبير، وذلك باستعمال التّخييل والاحتمال.

- السرد الروائي في رواية (جلالته الأب الأعظم) يتشكل في ألوان سردية مختلفة باعتماده تقنيات متنوعة كالتحويل والمسخ وتجاوز المألوف للغوص في عوالم ممكنة وخارقة، فالشخصيات المختارة غالبا ماتكون غير معتادة و غير مألوفة تكون في بداية الحكاية شخصيات إنسانية ثم تتلاشى وتحل محلها كائنات عجائبية خيالية تتمثل الرسالة المقصودة عبر إيماءات وسلوكات خارقة تترجمها في شكل علامة مادية دالة.

- اللغة السردية المستخدمة في الرواية محمّلة بقدر كبير من الوعي اللغوي الهادف الذي اكتسبه (حبيب مونسي) من تجربته في الحياة ومن ثقافته الواسعة التي عكسها في الرواية بأسلوب جديد، تمثّل في توظيفه الذكي للقاموس اللغوي الأدبي مقترنا بالقاموس اللغوي العلمي الذي عمل على إذكاء وعي وخيال المتلقي عند تحليله لأحداث الرواية وتأويلها .

- الرّواية قدّمها لنا (حبيب مونسي) وفق قالب رؤيوي مستقبلي صِرف من خلال تخطّيه للزمن الحاضر واستشرافه للزمن المستقبلي المنتظر وقوعه، وهذا ما جسّده -بجرأة- العنوان الرّئيسي والفرعي للرّواية (جلالته الأب الأعظم - الخطر الآتي من المستقبل-).

- استطاع (حبيب مونسي) أن يصنع لرواية (جلالته الأب الأعظم) نسقا لغويا، عزّزه الجانب الشّعري الجمالي الذي حافظ على البناء الفنّي للرّواية.

- مثّلت رواية (جلالته الأب الأعظم) تجربة عربية جزائرية رائدة في مجال أدب الخيال العلمي، ونموذج رفيع للرّواية المستقبلية العربية من خلال الخصوصية التّي تطبع الوعي اللغوي الذّي استند إليه (حبيب مونسي) في خلقه لعالم روايته المستقبلي الافتراضي، حيث أنابت اللّغة الشّعرية المشكّلة وفق نسق تعبيري دال وواعي على النضج الفكري والمعرفي الذي وصل إليه الفكر العربي أثناء مواكبته لمستجدّات الحداثة والمعاصرة الرّاهنة.

قائمة المصادرو المراجع:

- إبراهيم عباس، الرّواية المغاربية، تشكيل النّص السّردي في ضوء البعد الإيديولوجي، ط1، دار الرّائد للكتاب ، الجزائر، 2005.
- جمال الدين الخضور، زمن النّص، ط1، دار الحصاد للنشر و التّوزيع، سوريا، دمشق ، 1995.
- جونسون بارتون، دراسة يوري لوتمان البنوية للشعر - ضمن مدخل الشعر- ، ترجمة أمينة رشيد، سيد البحراوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، 1996.
- حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم (الخطر الآتي من المستقبل)، دط ، دار العرب للنشر و التّوزيع ،نسخة إلكترونية، الجزائر-وهران، 2002 .
- حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ط3 ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000.
- روبرت سكولز و آخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسن حسين شكري،د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1996.
- سمر الديوب، مجاز العلم، دراسات في أدب الخيال العلمي، دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، مكتبة الأسد، دمشق، 2016.
- شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، دار الأمان، الرباط و منشورات الإختلاف، الجزائر ، 2009.
- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وشعرية النص، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ع164 ، 1992.

- عصام البهى، الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم،د ط ، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999.
- عمار ناصر، اللّغة و التّأويل، مقاربات في الهيرمنوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر ، 2007.
- محمد عزام، الخيال العلمي في الأدب، ط1، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، 1994.
- محمود قاسم، الخيال العلمي أدب القرن العشرين، د ط، الدار العربية للكتاب ، 1993.
- مجموعة من الباحثين : خرائط العوالم الممكنة في الاقتراب من الخيال العلمي العربي ، إشراف وتقديم: د. فيصل الأحمر ، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، الجزائر.
- محسن الرملي، رواية الخيال العلمي، خصائصها و إشكالياتها و أسئلة المستقبل، مجلة الشؤون الثقافية الليبية، عدد 31، 2010.
- محمد الناصر العجمي، موقع السيميائيات من مناهج البحص الغربي الحديث، سيميائيات، مجلة دورية محكمة، العدد 02، 2006.

الهوامش:

[1] روبرت سكولز و آخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسن حسين شكري، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1996 ، ص46.

[2]محمد عزام، الخيال العلمي في الأدب، ط1،دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، 1994 ، ص9.

[3]عصام البهى، الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم، د ط، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999، ص09.

[4]محمود قاسم، الخيال العلمي أدب القرن العشرين، د ط، الدار العربية للكتاب ، 1993. ، ص22.

[5]سمر الديوب، مجاز العلم، دراسات في أدب الخيال العلمي، دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، مكتبة الأسد، دمشق، 2016، ص75.

[6] المرجع نفسه، ص76.

[7] محسن الرملي، رواية الخيال العلمي، خصائصها و إشكالياتها و أسئلة المستقبل، مجلة الشؤون الثقافية الليبية، عدد 31، 2010 ، ص43.

[8]المرجع السابق :سمر الديوب، ص27.

[9]شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، دار الأمان، الرباط ومنشورات الإختلاف، الجزائر ، 2009. ، ص69.

[10]صلاح فضل : بلاغة الخطاب وشعرية النص، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ع164 ، 1992 ،ص 270 .

[11]مجموعة من الباحثين : خرائط العوالم الممكنة في الاقتراب من الخيال العلمي العربي ، إشراف وتقديم: د. فيصل الأحمر ، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2019 ،ص 204 .

[12]المرجع نفسه ،ص205-206.

[13]حبيب مونسي: جلالته الأب الأعظم(الخطر الآتي من المستقبل) ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،نسخة إلكترونية ،الجزائر-وهران، ص19-20.

[14] المصدر نفسه: ص 38 .

[15]الرواية : ص 40 .

[16]الرواية :ص 86- 87.

[17]الرواية : ص 114.

[18]صلاح فضل: بلاغة الخطاب وشعرية النص ،ص 253.

[19]جونسون بارتون، دراسة يوري لوتمان البنوية للشعر -ضمن مدخل الشعر- ، ترجمة أمينة رشيد، سيد البحراوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، 1996، ص79.

[20]محمد الناصر العجمي، موقع السيميائيات من مناهج البحص الغربي الحديث، سيميائيات، مجلة دورية محكمة، العدد 02، 2006 ،ص 25.

[21] سمر الدّيوب، مرجع سابق، ص102.

[22] حبيب مونسي، مصدر سابق، ص100.

[23] المصدر نفسه، ص293.

[24]المصدر نفسه، ص22.

[25]المصدر نفسه، ص181.

[26]عمار ناصر ، اللّغة و التّأويل، مقاربات في الهيرمنوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي،ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر ، 2007، ص57.

[27] جمال الدين الخضور، زمن النّص، ط1، دار الحصاد للنشر و التّوزيع، سوريا، دمشق ، 1995 ، ص22.